بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة ٢٠٢٥/٨/١ الموافق ٧ صفر ١٤٤٧ هـ

عَذابُ القَبْر

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَهْديهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعوذُ بِاللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنا وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وَلا مَثيلَ ولا شَبيهَ وَلا ضِدَّ وَلا نِدَّ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا وَحَبيبَنا وَعَظيمَنا وَقائِدَنا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسولُهُ وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ هادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذيرًا بَلَّغَ الرِّسالَةَ وَأَدّى الأَمانَةَ وَنَصَحَ الأُمَّةَ وَجاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ فَجَزاهُ اللهُ عَنّا خَيْرَ ما جَزى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيائِهِ. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحمدٍ وَعَلى ءالِهِ وأَصْحابِهِ الطَّيِّبِينَ الطاهِرين.

أَمّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ فَإِنِّي أُوصِي نَفْسِي وأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ القَدِيرِ القائِلِ في مُحْكَمِ كِتابِهِ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾[1]

إِخْوَةَ الإِيمانِ كَلامُنا اليَوْمَ عَنْ حَياةِ البَرْزَخِ وما فِيها، يَقُولُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ١٢٤﴾[2]. أَيْ ضَيِّقَةً في القَبْرِ كَما فَسَّرَها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم. ورَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ "**القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**" وفِي سُنَنِ النَّسائِيِّ عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ عَنْ عَذابِ القَبْرِ فَقالَ "**نَعَمْ عَذابُ القَبْرِ حَقٌّ**" اهـ

فَمِمّا يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهِ إِخْوَةَ الإِيمانِ عَذابُ القَبْرِ لِلْكافِرِ ولِبَعْضِ عُصاةِ الْمُسْلِمِينَ، قالَ الإِمامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى الفِقْهِ الأَكْبَرِ وضَغْطَةُ القَبْرِ وعَذابُهُ حَقٌّ كائِنٌ لِلْكُفّارِ ولِبَعْضِ عُصاةِ الْمُسْلِمِينَ اهـ

[1] سُورَةُ الحَشْر / ١٨-٢٠.

[2] سُورَةُ طَهَ / ١٢٤.

فَلا يَجُوزُ إِنْكارُ عَذابِ القَبْرِ بَلْ إِنْكارُهُ كُفْرٌ، قالَ الإِمامُ أَبُو مَنْصُورٍ البَغْدادِيُّ فِي كِتابِ الفَرْقِ بَيْنَ الفِرَقِ وقَطَعُوا - أَيْ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ - بِأَنَّ المُنْكِرِينَ لِعَذابِ القَبْرِ يُعَذَّبُونَ فِي القَبْرِ اه أَيْ لِكُفْرِهِم.

وهَذا العَذابُ أَيُّها الأَحِبَّةُ يَكُونُ بِالرُّوحِ والجَسَدِ لَكِنَّ اللهَ يَحْجُبُهُ عَنْ أَبْصارِ أَكْثَرِ النَّاسِ لِيَكُونَ إِيمانُ العَبْدِ إِيمانًا بِالغَيْبِ فَيَعْظُمَ ثَوابُه. ويَدُلُّ عَلَى كَوْنِ العَذابِ بِالرُّوحِ والجَسَدِ ما وَرَدَ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ الحَبِيبَ محمَّدًا صَلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ أَتُرَدُّ عَلَيْنا عُقُولُنا يا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمُ اليَوْمَ** اه قالَ فَبِفِيهِ الحَجَر أَيْ سَكَتَ وانْقَطَعَ عَنِ الكَلامِ لِسَماعِهِ الخَبَرَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ.

إِخْوَةَ الإِيمانِ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ أَنَّهُ قالَ لِأُناسٍ "**فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى القَبْرِ يَوْمٌ إِلاَّ تَكَلَّمَ فِيهِ فَيَقُولُ أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ وَأَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الْمُؤْمِنُ** أَيِ الكامِلُ **قَالَ لَهُ القَبْرُ مَرْحَبًا وَأَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظهري إِلَيَّ فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ قَالَ فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بابٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ أَوِ الكَافِرُ قَالَ لَهُ القَبْرُ لا مَرْحَبًا ولا أَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لَأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظهري إِلَيَّ فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ قَالَ فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِي عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ** قَالَ - أي الرَّاوِي - قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِأَصابِعِهِ فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ **بَعْضٍ قَالَ وَيُقَيِّضُ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا فَيَنْهَشْنَهُ وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الحِسَابِ**" اه

فَمِنْ عَذابِ القَبْرِ إِخْوَةَ الإِيمانِ ضَغْطَةُ القَبْرِ يَقْتَرِبُ حائِطَا القَبْرِ مِنْ جانِبَيْهِ حَتَّى تَتَداخَلَ أَضْلاعُهُ، أَضْلاعُهُ الَّتِي عَنْ جانِبِهِ الأَيْمَنِ تَتَداخَلُ مَعَ أَضْلاعِهِ الَّتِي عَنِ الجانِبِ الأَيْسَر. أحبَّتِي مَنْ ذا الَّذِي يَحْتَمِلُ أَلَمَ اِلْتِواءِ فِي أَحَدِ أَصابِعِهِ، مَنْ ذا الَّذِي يَحْتَمِلُ أَلَمَ كَسْرٍ فِي اليَدِ، فأيُّ أَلَمٍ ذاكَ حِينَ تَتَداخَلُ الأَضْلاعُ بَعْضُها بِبَعْضٍ. اللَّهُمَّ أَجِرْنا مِنْ عَذابِ القَبْرِ وضَغْطَتِهِ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ يا أَرْحَمَ الراحِمِين.

هَذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولَكُمْ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعوذُ بِاللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنا وَسَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَهُ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ على سَيِّدِنا محمدٍ الصادِقِ الوَعْدِ الأَمينِ وعلى إِخْوانِهِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلين. أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ فَإِنِّي أُوصيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ العَظيمِ فَاتَّقُوهُ واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمَّنَ أَوْلِياءَهُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ومِنْ أَهْوالِ القِيامَةِ قالَ تَعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٣] فَيُعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لا يَصِحُّ حَدِيثُ لَوْ نَجا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ لَنَجا سَعْدٌ[٤] أَيْ لَوْ نَجا أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ لَنَجا سَعْدٌ اهـ فَزَعَمَ بَعْضُ الناسِ أَنَّ ضَغْطَةَ القَبْرِ تُصِيبُ كُلَّ النَّاسِ المُؤْمِنَ والكافِرَ، وقَدْ حَكَمَ بِضَعْفِ هَذا الحَدِيثِ الحافِظُ ابْنُ الجَوْزِيِّ.

Mes frères de foi, nous allons parler aujourd'hui de la vie du *barzakh* –la période comprise entre la mort et la résurrection– et ce qu'elle comporte. Notre Seigneur تبارك وتعالى dit, dans la sourate طه *Taha* ce qui signifie : « **Celui qui se détourne de la foi en Dieu, subira un séjour difficile** » c'est-à-dire dans la tombe tout comme l'a expliqué le Prophète صلَّى الله عليه وسلم. *At-Tirmidhiyy* a rapporté du Messager de Dieu صلَّى الله عليه وسلم qu'il a dit ce qui signifie : « ***La tombe peut être comme l'un des jardins du Paradis ou comme l'un des antres de l'enfer.*** » Et dans les *Sounan* de *An-Naça'iyy* d'après ^*A'ichah*, que Dieu l'agrée, elle a dit : « *J'ai interrogé le Messager de Dieu* صلَّى الله عليه وسلم *au sujet du supplice de la tombe et il a répondu* ce qui signifie : « ***Oui, le supplice de la tombe est une vérité.*** »

Parmi les choses auxquelles il est un devoir de croire, chers frères de foi, il y a le supplice de la tombe pour les non-croyants et pour certains croyants désobéissants. L'Imam *Abou Hanifah*, que Dieu l'agrée, a dit dans *Al-Fiqhou l-'Akbar* ce qui signifie : « *La pression et le supplice de la tombe sont une vérité. C'est quelque chose qui aura lieu pour les non-croyants et pour certains croyants désobéissants.* » Il n'est donc pas permis de nier le supplice de la tombe. Nier le supplice de la tombe est de la mécréance. L'Imam *Abou Mansour Al-Baghdadiyy* dans son Livre *Al-Farqou bayna l-Firaq* a dit : « *Ils ont été catégoriques –les savants de Ahlou s-Sounnah wal-Jama^ah– à dire que ceux qui renient le supplice de la tombe seront suppliciés dans leur tombe –c'est-à-dire en raison de leur mécréance.* »

Ce supplice, mes bien-aimés aura lieu par l'âme et le corps. Cependant, Dieu l'a voilé aux yeux de la plupart des gens, afin que l'esclave croie au supplice de la tombe alors qu'il lui est voilé et caché. La récompense de l'esclave en sera ainsi plus éminente. Ce qui indique que le supplice de la tombe aura lieu par l'âme et le corps, c'est ce qui est rapporté de notre maître ^*Oumar Ibnou l-Khattab* que Dieu l'agrée, lorsqu'il avait interrogé le Bien-aimé محمّد *Mouhammad* صلَّى الله عليه وسلم, en lui disant ce qui signifie : « *Est ce que nous reprendrons conscience, ô Messager de*

[٣] سورَةُ يُونُس / ٦٢.

[٤] مذكور فى صحيح ابن حبان وغيره. قال الشيخ فى الشرح القويم هذا الحديث غير صحيح وإن صححه من صححه.

Dieu ? » Le Prophète lui avait répondu ce qui signifie : « ***Oui, tout comme vous êtes conscients aujourd'hui.*** » Celui qui a rapporté le حديث *hadi<u>th</u>* a dit que *^Oumar* s'est alors tu et qu'il n'a pas fait de commentaire, puisqu'il avait entendu une information qu'il ne connaissait pas auparavant.

Mes frères, *At-Tirmidhiyy* a rapporté du Messager de Dieu محمّد *Mou<u>h</u>ammad* صلَّى الله عليه وسلم qu'il a dit ce qui signifie : « ***Rappelez-vous souvent de celle qui détruit les plaisirs, à savoir la mort, parce qu'il n'y a pas un jour sans que la tombe dise :*** "***Je suis la demeure de l'exil, je suis la demeure de la solitude, je suis la demeure de la terre, je suis la demeure des vers !" Lorsqu'un esclave croyant*** –c'est-à-dire dont la foi était complète– ***est enterré, la tombe lui dit :*** "***Bienvenue ! Tu étais de ceux que j'aimais le plus quand tu marchais à la surface, et maintenant que tu es à ma charge et que tu es parvenu chez moi, tu verras comment j'agis avec toi***." ***La tombe s'étend pour lui à perte de vue. Il lui est ouvert une porte qui donne sur le Paradis. Alors que lorsqu'un esclave pervers ou non-croyant est enterré, la tombe lui dit :*** "***Tu n'es pas le bienvenu ! Tu faisais partie de ceux que je détestais le plus quand tu marchais à la surface, et maintenant que tu es à ma charge et que tu es arrivé chez moi, tu vas voir ce que je fais de toi !***" ***Alors la tombe se referme en faisant pression sur lui au point que ses côtes s'entrecroisent.*** Celui qui rapporte le حديث *hadi<u>th</u>* a dit : Le Messager de Dieu a montré ses doigts et les a fait entrer les uns dans les autres, et il a dit ce qui signifie : « ***Dieu met à sa charge soixante-dix serpents, si l'un d'entre eux soufflait sur la terre, elle ne ferait plus rien pousser jusqu'à la fin du bas monde. Ils vont le dévorer et l'écorcher jusqu'à ce qu'il parvienne au Jour de l'exposition des actes.*** »

Parmi le supplice de la tombe, mes frères de foi, il y a la pression dans la tombe. Les parois des deux côtés de la tombe vont se rapprocher au point que les côtes du supplicié vont s'entrecroiser. Les côtes du côté droit vont croiser ses côtes du côté gauche. Mes bien-aimés, qui peut supporter la douleur de la torsion d'un de ses doigts ? Qui peut supporter la douleur de la fracture de sa main ? Quelle douleur alors que celle qui résultera de l'entrecroisement des côtes ! Ô Dieu, préserve-nous du supplice de la tombe et de la pression de la tombe, ô Toi le plus miséricordieux des miséricordieux… ô Toi le plus miséricordieux des miséricordieux… ô Toi le plus miséricordieux des miséricordieux…

Sachez que Dieu a préservé Ses saints du châtiment de la tombe et des difficultés du jour du jugement, Dieu dit ce qui signifie : « **Certes, les saints** [ceux qui sont agréés par Dieu] **n'auront pas peur et ne seront pas chagrinés.** » À partir de là, il est à savoir que le حديث *hadi<u>th</u>* qui signifie que si quelqu'un devait en réchapper, ce serait *Sa^d* –c'est-à-dire que si quelqu'un devait échapper à la pression de la tombe, alors *Sa^d* en aurait réchappé, ce حديث *hadi<u>th</u>* n'a pas été jugé *<u>sahih</u>* –fiable. Certaines personnes ont prétendu à tort que tout le monde, croyant ou non-croyant, sera touché par la pression de la tombe. Le *<u>Hafidh</u> Ibnou l-<u>Jaw</u>ziyy* l'a jugé *<u>d</u>a^if* – faible.

واعلَموا أنَّ اللهَ أمرَكُمْ بأمْرٍ عظيمٍ، أمرَكُمْ بالصَّلاةِ والسَّلامِ على نبيِّهِ الكريمِ فقالَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[٥].

اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْناكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعاءَنَا فَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنا ذُنوبَنَا وَإِسْرافَنا في أَمْرِنا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالأَمْواتِ رَبَّنا ءاتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُداةً مُهْتَدينَ غَيْرَ ضالِّينَ وَلا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِنا وَءَامِنْ رَوْعاتِنا وَاكْفِنا ما أَهَمَّنا وَقِنَا شَرَّ ما نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ الهَرَرِيَّ رَحَماتُ اللهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبادَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتَاءِ ذي القُرْبَى وَيَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اُذْكُرُوا اللهَ العَظيمَ يُثِبْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنَ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلاة.

[٥] سورة الأحزاب / ٥٦.